الفخار التدمري في القرن الثاني الميلادي*

ماريا كروغولسكا

جامعة وارسو ـ بولونيا

ترجمة: سجيع قرقماز

إن الفخار التدمري ـ كما هو باق ـ ليس معروفاً بشكل عملي، وهذا القول لا يعتبر حكماً غير كاف. فالتنقيبات البولونية عن أفران (تنانير) الفخار في معسكر ديوقليسيان[1] والمناطق القريبة منه أعطت فرصة لدراسة تاريخ ورموز مواد الفخار التدمري التي تعود إلى القرن الثاني الميلادي.

الاستكشافات الأولى التي أدارها كازيميرز ميخالوفسكي عام ١٩٦٢ تركزت على ساحة الـ"principia" حيث ثلاث طبقات متشابهة (المجموعة I):

١ـ كانت الطبقة الأقدم بناءً قديماً من القرن الأول الميلادي.

٢ـ مجموعة من الأفران الفخارية حفرت في بقايا بناء القرن الأول[2].

٣ـ الطبقة الثالثة وتعود للتركيب المعماري لساحة الـ"principia" في معسكر ديوقليسيان.

مما لا شك فيه أن أفران الفخار تعود الى فترة أحدث من بناء القرن الأول الميلادي، وأقدم من منشآت الساحة. إن جزءاً من حائط «البوابة الكبيرة» وأساسات الرواق المعمد (ذو الأعمدة) الداخلي، مثلها في ذلك مثل الأفران الفخارية، تحتوي عناصر بناء تركيبية من بناء القرن الأول.

نتيجة لذلك يمكن تحديد تاريخ نشاط معمل الفخار في المنطقة الغربية من تدمر في الفترة بين نهاية القرن الأول الميلادي وحوالي ٣٠٠م عندما بنيت الـ"principia". كما أن تحليل المصابيح وأجزائها والتي وجدت في الأفران الفخارية وحولها سيعطي تحديداً أكثر دقة لتاريخ الأفران.

التنقيبات بين حائط «البوابة الكبيرة» وحائط الرواق المعمد للساحة، التي كشفت ثلاثة أفران فخارية، قدمت ٤٩ مصباحاً سليماً أو شبه سليم. أربعة فقط من هذه المصابيح يمكن أن يعود تاريخها لما بعد ٢٧٣م[3]. هذه المصابيح أتت من الطبقة العليا، ولمعرفة تاريخها ورموزها أشير الى «فيلمان»[4] و «سادورسكا»[5]. المصابيح الـ٤٥ الباقية تقع كلها في الفترة قبل ٢٧٣م (المجموعة II A). وتوضح من خلال الجدول رقم ١ (راجع القسم الأجنبي).

نظراً لذلك، وبما أن الزمرة (E)مثلها مصباح واحد فقط، فأنها لن تؤخذ بعين الاعتبار في البحث التالي.

إن تنقيبات جديدة في خندق بين الفرن رقم ١، والفرن رقم ٣ (المجموعة III A) قد أديرت من قبل المؤلفة في عامي ١٩٧٤ و ١٩٧٥ على أمل ايضاح تراصف طبقات الموضع (المجموعة III B)[6]. بعد الدخول في الأرضية الرمادية المصنفة (A) في مقدمة الفرن رقم ٣، وصلنا الى حشوة أرضية مع بقايا كسر

فخارية. تحتها كانت هناك أرضية أخرى (C) تتوضع أيضاً على طبقة من التربة وبقايا الكسر الفخارية. كلتا الأرضيتين تنتهيان بأرضية منحنية (B) وتمتدان على حشوة أرضية تختلط بكميات كبيرة من بقايا الكسر الفخارية والمصابيح التي وجدت وهي تغطي الفرن رقم ٥ (الشكل رقم ١).

تحت الأرضية (B) وفوق الفرن رقم ٥، وجد في الحشوة أثر مصابيح من الزمر D1 - D2 - D3 (المجموعة II B). من ضمنها هنا مصابيح الزمرة D1 رقم CD ٧ / ٧٤ (الشكل ٣)[٧]، وهي مزينة بإكليل زيتون ونقش كتب عليه عجلبول وملكبل، وتلف مصباح من الزمرة D2 رقم CD ٩ / ٧٤ (الشكل رقم ٤)[٨] وكما ذكرت للتو فإننا نرى تواريخ المصابيح في الجدول رقم ٢ (راجع القسم الأجنبي).

وهكذا سيظهر أن مصابيح الزمر الثلاث D1 و D2 و D3 قد وجدت بشكل متزامن في فترة تمتد حوالي خمسين عاماً، من حوالي ١٠٠ حتى حوالي ١٥٠م. حيث لا مصباح من نموذج F، لا تحت الأرضية "B" ولا في الفرن رقم ٥ أرخت من قبل فيلمان بحوالي ١٠٠م، و تحديداً من حوالي ١٢٥م إلى ٢٧٣م، و كذلك من قبل سادورسكا من ١٥٠م إلى القرن الرابع. لذلك فإننا سنفترض أن الأرضية "B" ظهرت في وقت ما عند بداية القرن الثاني الميلادي، و تحديداً قبل ١٥٠م. نتيجة لذلك فإن كل المواد من الفرن رقم ٥ يجب أن تؤرخ في النصف الأول من القرن الثاني الميلادي. والمواد تتضمن كسر المصابيح من الزمر D1، D2 و D3، وبقايا الكسر الفخارية من الجرار، أواني التخزين، الطاسات، أواني الحجاج (الرحل)، وكلها مصنوعة من الطين ذي اللون البيج، الضارب الى الخضرة، الوردي. وكان من موجودات الفرن أيضاً قطع عديدة من الفخار الأحمر والأحمر -الأسود مع تركيب له مسام يمثل تنوعاً في الشكل والحجم، إضافة لقطع قرميدية عبارة عن بلاط وقرميد أرضي استخدم لتبليط الغرف الصغيرة. ثلاث أوان سليمة للحجاج (شكل رقم ٥ المجموعة IV) محروقة بشكل كامل، وجدت في أسفل الغرف في الرماد تحت المجموعة الضخمة ذات الأرقام ١٤٩، ١٥٠، ٧٥/١٥١[٩].

المرحلة الثالثة لاستكشافات هذه المنطقة عام ١٩٨٥ تكونت من كشف القطعة الأرضية المستطيلة (المجموعة V) يساراً في الغرفة رقم ١ (المجموعة I) بجوار الفرن رقم ٣ الى حيث الأرضية تغطي الفرن رقم ٥ المتاخم (الشكل رقم ١) ويجب أن نلاحظ بشكل عرضي أن الفرن رقم ٣ كان يستخدم بشكل واضح قبل الفرن رقم ٥.

أولاً لنركز على المصابيح التابعة لهذه القطعة الأرضية (الشكل ٦ و ٧) من الزمر D2، D3 و F المتمثلة فيها (المجموعة II B والجدول ٢) لكن لا يوجد أي مثال من الزمرة D1. ولنتكلم بشكل احصائي : D2 مثلت بثلاث كسرات، D3 بثماني كسرات، ثم F بـ٣٤ كسرة.

لقد رأينا للتو أن الزمر الثلاث D1، D2، D3 يمكن أن تظهر بشكل متزامن فقط في الفترة من انتهاء القرن الأول الميلادي وحتى ١٥٠م. إن وجود المصابيح من الزمر D2، D3 و F هي من حوالي ١٢٥م وحتى حوالي ١٥٠م. مصابيح الزمرتين D1 و D2 احتفت حوالي ١٥٠م، لكن تلك التي من الزمرتين D3 و F استمرت حتى ٢٧٣م.

هذه الملاحظات تساعد فقط في تأكيد استنتاجنا أن الفرن رقم ٥ اشتغل في الفترة حوالي ١٠٠م وليس بعد ١٥٠م. الفرن رقم ٣ يجب أن يؤرخ تحديداً بحوالي ١٥٠م، ومع ذلك فإن الحذر سيجعلنا نفترض تاريخاً هو الفترة من حوالي ١٠٠م حتى حوالي ٢٠٠م. إن تاريخ هذا التجميع الكلي للقرن الثاني بشكل عام قد تأكد بشكل استثنائي من خلال ثلاث كسرات فخارية فرثية صغيرة مكسوة بطبقة رقيقة لامعة اكتشفت هناك.

لنركز الآن على قطعة السيراميك المأخوذة من قطعة الأرض المستطيلة. هنا يوجد نسيج ووعاء من معايير متميزة. كما تبين التالي :

١- عناصر بناء فخارية - بلاط غرفة صغيرة جداً، قرميد سقف، قرميد جوانب، أنابيب لمياه المجارير (لم تدرس هنا).

٢ـ مصابيح درست في الأسطر السابقة.

٣ـ أدوات عامة (المجموعات ٨٥/٩٥ CD ٨٥/١٠٤٨ CD: VI، IV).

٤ـ أدوات مائدة (المجموعات ٨٥/٣٠ CD: VI).

٥ـ أدوات مطبخ (المجموعات ٨٥/١٤٣٠ CD، ٨٥/١١٣٢ CD، ٨٥/١١٣٣ CD: VI).

٦ـ شظايا فخارية مجففة لكن غير مستوية.

بضع كلمات يجب أن تقال حول الطين التدمري الذي استعمل للمصابيح كما للأدوات العامة أو لعناصر البناء. وهذا يثبت امكانية تحدد مصدر هذا الطين وهو من داخل تدمر[١٠].

إن بنية المصابيح التدمرية والأدوات العامة في هذه الدراسة قد تميزت بالخشونة، بوجود المسامات، والجمع بين الرمل والكلس.. فالطين قاسٍ بشكل وسطي مع ميل الى التصدع، ويمكن للكسرة أن تكون ذات ألوان عديدة، أو متماثلة. إن لون الطين بعد الشي يتراوح بين البيج المائل للخضرة، المائل للوردي، البني الخفيف، البني، والبني الشوكولاتي. السطح دائماً أفتح لوناً. ونادراً ما يوجد انزلاق أو طمي على الأواني. لا يكون المصباح أحياناً متماثلاً من حيث اللون ويتراوح للوهلة الأولى بين الكريم والوردي.

إن بنية أدوات المائدة تختلف قليلاً، وبشكل أساسي في اللون، عن التي ذكرت قبلاً. الطين في هذه المجموعة عادة وردي أو أحمر، السطح إما مصقول أو معرّق بشكل واضح، الداخل مستوٍ. السطح أيضاً وردي حليبي خفيف أو أخضر ضارب الى الرمادي، الى الضارب للبياض. سيظهر لدينا أن المادة الأساسية لإنتاج الطاسات الصغيرة كانت مثل التي استخدمت في الأدوات العامة، مع فارق وحيد هو إضافة عامل التلوين.

أخيراً هناك أداة المطبخ، المنتجة من طين قاسٍ سريع الانكسار، يميل للتصدع. إنها خشنة ومسامية تحتوي على الرمل والكلس والحبيبات الصخرية. بعد الشي يصبح الطين، أحمر ـ قرميدي، أحمر ـ برتقالي، رمادي أو أسود مع كميات ملحوظة من حبيبات الكلس الأبيض. أسطح الآنية يمكن أن تكون بنية، ذات لون بني محروق كلون الزنجبيل، أحمر وأسود. أحياناً يمكن أن تكون الحبيبات حمراء أو سوداء في كل مكان، في أحيان أخرى يكون اللب بنياً والسطح أسود. هناك أيضاً أمثلة عن سطح بلون أحمر يتدرج الى البيج أو البني الضارب للخضرة. إن الدراسات المتعلقة بالطين المستخدم في المطبخ وأدوات المائدة ما تزال جارية.

المجموعات التي درست هنا تتضمن:

١ـ أدوات عامة:

١ـ جرار بثلاث حواف جانبية مختلفة (المجموعة IV):

آ: دائرية من الخارج، على جانبها مجموعة من الأضلاع الأفقية الصغيرة جداً.

ب: دائرية من الخارج، مقعرة بشكل بسيط، وناعمة.

ج: دائرية من الخارج، تشكل قرصاً دائرياً.

٢ـ أباريق:

٣ـ قوارير بحواف مائلة، أو حواف مستوية، شكلت بطرق مختلفة.

٤ـ قوارير للحجاج بحجوم متنوعة (المجموعة IV).

٥ـ كؤوس عميقة بمقابض عمودية.

٦ـ أوعية ذات كريات، بحواف عريضة.

٧ـ أغطية آنية.

٨ـ أوعية تخزين.

٩ـ طاسات بقعر منبسط وحافة ناتئة (المجموعة IV).

١٠ـ طاسات صغيرة عميقة.

١١ـ مباخر، أو تقريباً الأجزاء العلوية منها.

٢ـ أدوات مطبخ :

تمثلها طاسات بحجوم وأعماق متنوعة (المجموعة IV) .

٣ـ قدور طبخ : (الشكل رقم ٩)

١ـ قدران بمسكتين لكل منهما، مع مجموعة من الحواف ذات الأشكال المختلفة، وقعر من المحتمل جداً أن يكون دائرياً (وجدت كسر منفصلة لهذا القعر. المجموعة VI) .

٢ـ مقالي بأنماط متنوعة (المجموعة VI) :

آ: جدران خارجية تقوست، تضلعت، مع مقابض صغيرة موضوعة بشكل عمودي أو أفقي ودائماً قريبة من جدار الوعاء.

ب: جدران بزوايا مع تضلع في الخارج، وقعر منبسط.

ج: جدران مستوية، قبضات صغيرة إما أفقية أو عمودية.

د: جدران خارجية مستوية، حززت بمقابض عمودية.

٣ـ أغطية آنية .

٤ـ طاسات .

في القطعة المستطيلة معظم المواد كانت تتألف من كسر فخارية صغيرة لأدوات مطبخ ومائدة هشة. بين الأدوات العامة كان هناك وبكثرة أشكال لقى غير متوقعة، منها الطاسات ذوات القعور المنبسطة، والحواف النافرة، والأقسام العلوية للمباخر.

لقد وجدت المصابيح جنباً الى جنب مع أنواع ثلاثة من الفخار: الأدوات العامة، أدوات المائدة، وقدور الطبخ، حيث ظهرت في تدمر في القرن الأول الميلادي. هذه الملاحظة هامة جداً خاصة فيما يتعلق بقدور الطبخ. أدوات المطبخ تذكر بشكل، وطريقة إنهاء سطح الأدوات الهشة، لكنها تختلف عنها بنوعية الطين، سماكة الجدار والى حد ما بمجموعة الأشكال المعتدلة. هذا ما يجعل أحدنا يتجه الى استنتاج أنها تقليد محلي لهذه الأدوات.

نفس الشيء يجب أن يقال عن الطاسات الصغيرة التي لُونت قصداً بمسحة من اللون الوردي، وتذكر بـ (Terra Sigillata) حيث القليل منها في تدمر. وسيظهر أيضاً أنها تقليد محلي لمواد مترفة مستوردة.

هذا التحليل التمهيدي لفخار منطقة الساحة في معسكر ديوقليسيان يشكل نقطة البدء لبحث أوسع حول تاريخ ورموز الفخار التدمري.